ملق القـــادة

للأستاذ أحمد أمين

لست أعنى بهذا العنوان أن يتملق الجمهور لقادتهم فيظهرون لهم الود والاعظام بحق وبغير حق ، فذلك شىء قليل الخطر، فاتر الأثر، وانما أعنى أن يتملق القادة للرأى العام فيسيرون على هواه ويجرون بجراه ، ويأتون ما يحب، ويذرون ما يكره . فهذا هو الداء الدوى والعلة الفادحة

ومن أسوأ ما أرى فى الشرق فى هذه الأيام هـــذه الظاهرة : ظاهرة أن يحسب القادة حساب الرأى العام أكثر مما يحسب الرأى العام حساب القادة

هذه الظاهرة جلية واضحة فى قادة العلم . فهناك أوساط تقدس العرب كل التقديس ، وتعتقد أنهم فى حكمهم عدلوا كل العدل ، ولم يظلموا أى ظلم ، فقادتهم يتملقونهم ويستخدمون معارفهم للوصول الى هذه النتائج التى ترضيهم ، سواء رضى العلم أم لم يرض ، وسواء أوصل البحث الى هذه النتائج أو الى عكسها ، وهناك أوساط تعبد كل غربى من عادات وتقاليد وآداب ، فقادتهم يختارون اللفظ الرشيق ، والاسلوب الأنيق لتأييد هذه الآراء ، ولا عليهم فى ذلك ان كانوا يحقون الحق أم يؤيدون الباطل

وهى ظاهرة فى قادة الادب ، فان أحب الجمهور روايات الحب والغرام ألفوا فيها وأكثروا منها ، وان ادركوا أن تصفيق الجمهور يكون اشد ، كلما كان الحب احد ، تسابق الادباء الى اقصى ما يستطيعون من حدة وعنف ، ومهروا فى أن يستنزفوا دموع المحبين ، ويهيجوا عواطفهم ، ويصلوا الى أعماق قلوبهم ، وان كره الناس ادب القوة فويل لأدب القوة من الادباء ، هو سمج ، وهو جاف ، وهو لا قلب له ، وان كان الجمهور لا يقبل الا على الادب الرخيص فكل المجلات أدب رخيص ، لانه كلما أسرف فى الرخص غلا فى الثمن ، وان بدأ الجمهور يتذوق الجد تحولوا الى الجد وداروا معه حيث دار

وهى ظاهرة فى دعاة الاصلاح ، فهم يرون ـ مثلا ـ أن الشباب قوة فوق كل قوة ، وهم عصب الامة واكسير الحياة ، وفى استطاعتهم أن يرفعوا من شاءوا الى القمة ويسقطوا من شاءوا الى الحضيض . فهم ينظمون لهم الدر فى مديحهم واعلاء شأنهم ، وملئهم ثقة بأنفسهم ، فهم رجال المستقبل وعماد الحياة ، وهم خير من آبائهم ، وستكون الامة فى منتهى الرقى يوم يكون رجالها ـ وقد يكون هذا حقا ، ولكن للشباب أغلاطه الجسيمة التى تناسب وهمته ، وله غروره واندفاعه ، وله تهوره وافراطه فى الاعتداد بنفسه ـ فكان على المصلحين ان يكثروا القول فى المعنيين على السواء ، فيشجعوا وينقدوا ، ويبشروا وينـــذروا ، ويرغبوا ويرهبوا حتى تتعادل قوى النفس ، وحتى يشعروا بمحاسنهم ومساويهم معا ـ ولكن هؤلاء القادة ـ مع الأسف ـ وقعوا فقط على النغمة التى تعجب الشباب وتحمسهم ولم يجرءوا ان يجهروا بعيوبهم ، ولا ان يقولوا ولو تلميحا ـ فى مواضع النقص من نفوسهم ـ فكان لنا من ذلك شباب استرسلوا فى الايمان بقول الدعاة الى أقصى حد ، واعتقدوا انهم كل شىء فى الحياة وانهم فوق أن يسمعوا نصيحة ناصح او نقد ناقد ـ وكان هذا نتيجة لازمة بعد ان وقف القادة منهم هذا الموقف ـ وقد يكون هذا رد فعل للماضى أيضا ـ فقد كان طالب العلم فى الجيل السابق يقدس قول استاذه ، وهو واستاذه يقدسان ما فى الكتاب الذى يتلى ، وكان الشاب يجل الشيخ فى قوله وفعله ، لا يرى ان له صوتا بجانب صوته ، ولا رأيا بجانب رأيه ، فكان سلوك هذا الجيل انتقاما من الجيل السابق ، وذهابا فى الافراط يعادل افراط آبائه ، ولكن أظن أنا وصلنا الى حد يجعلنا نفكر جديا فى تثبيت هذه الذبذبة ووقفها الموقف الحق

ان وقوف القيادة من الجمهور موقف الملق قلب الوضع ، فالعالم اذا قال برأى الناس لم يكن لعلمه قيمة ، والمصلح اذا دعا الى ما عليه الناس لم يكن مصلحا

انى أفهم هذا الوضع فى التاجر يسترضى الجمهور لأن نجاحه فى تجارته يتوقف على رضاهم ، وأفهم هذا فى المغنى يقول ما يعجب الناس لأنه نصب نفسه لأرضائهم ، واستخراج اعجابهم ، ولكنى لا أفهم هـــذا فى قائد الجيش ، فان له مهمة أخرى ، وهى أن يظفر بخصمه ، فلو كان همه أن يسترضى جنده لا أن ينتصر على عدوه لما استحق لقب القيادة لحظة ، ولكان

الوضع الحقيقى أن الجند هم القادة والقادة هم الجند

كذلك الشأن فى قائد العلم وقائد الادب، والمصلح الاجتماعى فلكل منهم غرض يرمى اليه فى علمه أو أدبه أو اصلاحه ، وله خطة يريد أن يحمل الناس عليها رضوا أم كرهوا

بل لا يعد المصلح مصلحا حتى ينبه الناس من غفلتهم ويحملهم على أن يتركوا ما ألفوا من ضار ، أو يعتنقوا ما كرهوا من صالح وهو فى أغلب أمره مغضوب عليه ممقوت ، واصطلاح الجمهور والمصلحين ليس علامة تبشر بخير ، بل هى فى الغالب تدل على تراجع من المصلح وانتصار للعامة

وقد كان المصلحون فى الشرق الى عهد قريب أشد الناس تعبا فى الحياة ، وأكثر تبرما بالجمهور وأقربهم الى عهدنا جمال الدين ومحمد عبده وقاسم امين ، لقوا فى دعوتهم من العذاب الوانا ، ولم يوفوا حقهم الا بعد أن وافاهم الموت ، أما اليوم فلست أرى حركة عنيفة بين القادة والرأى العام ، ولا بين المصلح ومن يراد اصلاحه . وربما كان سبب ذلك أن القائد ينظر الى نفسه أولا وقبل كل شىء وآخر كل شىء ، قصد الى أن يصفق له أكثر مما قصد لخدمة الحق ، وقد وصل الى درجة من اعجاب الجمهور يريد أن يزيدها أو يحتفظ بها . قد خلع ثياب القائد ، وارتدى لباس التاجر ، يبحث عما يعجبهم ليقول فيه شعره أو يكتب فيه مقالته ، أو يطنب فى وصفه ، ويبحث عما يسوءهم ليحمل عليه حملة شعواء بقلمه أو لسانه كما يبحث تاجر الازياء عن آخر طراز فى الزى يقبل الناس على شرائه

تلك أشد حالات الانحطاط فى القيادة ، فأول درس يتلقاه القائد أن يكون قليل الاهتمام بشخصه ، كثير الاهتمام بالغرض الذى يرمى اليه فى الاصلاح ، سواء أكان اصلاحا لغويا أو أدبيا ، أو اجتماعيا أو دينيا ، وأن ينظر الى كل مايجرى حوله فى هدوء ، لا يسره الا أن يرى الناس اقتربوا من غرضه ولو بسبه ، ويضحى بالشهرة فتتبعه الشهرة ، ويضحى بالحظ فيخدمه الحظ ، بل سواء عليه عُرف أم لم يعرف ، وسواء عليه لعن أم كرّم ، مادام سائرا على المنهج الذى رسم ، لا يشعر بأريحية الا أن يصل الى غرضه ، أو يقرب منه ، يحب المنتصرين لرأيه ويرحم الناقمين عليه ، يرفض أن يلبس تاج الفخر الا أن يكون من نسيج ما سعى الى تحقيقه — ان كان هذا أول درس يتعلمه القائد فهو آخر درس أيضا .

أخشى ان يكون قادة الرأى فينا قد ملوا المقاومة فاستسلموا ، وان يكونوا قد استصعبوا الغاية فاستناموا ، وان يكونوا قد وقفوا مترددين قليلا بين عذاب الضمير وعذاب المعارضة فاحتملوا الاول ، وان يكن رابطول ما لقوا قد رغبوا عن النظر الى الامام والتفتوا وراءهم الى الرأى العام فساروا أمامه فى الطريق الذى يحبه هو لا الذى يحبونه هم ، ان كان هذا فيالها من هزيمة .

انى لنا بقادة فى الرأى لا يتملقون الا الحق ؟

الحرية

للاستاذ الشيخ ابراهيم الدباغ

غلت فغلى فى كل حى وجيها   ولست لها إن كان غيرى بجيبها
صريع هواها لا يواسى بنظرة   وجرحى أساها لا يلين طبيبها
بدت واختفى فيها جمال تزينه   فبت أعاديها ونام حبيبها
وكم مزقت ستر العفاف لصونها   بحر يناجيها وعبد يعيبها
حديقتها قد فتحت كل زهرة   تضل النهى أنفاسها وضروبها
شكت غربة فى أهلها ولداتها   وأمسى على بلواه يبكى قريبها
وكم أكلت نيرانها قلب جاحد   وانى لأرجو أن يزيد لهيبها
وكم عملت فى نفس حر ومنصف   وحسب الامانى أن يخف شبوبها
يشرفها فى كل شرق شروقها   وتغرى بها فى كل غرب غروبها
مطالعها فى الشرق والغرب لم تعد   إلى الأفق حتى ضاق ذرعا رقيبها
تعود منها المستبدون هدنة   وسلما ، وردتهم لرشد حروبها
وكم من غراب ناعب فى رياضها   صباحا وقد أحيا الدجى عندليبها
سقاها الحيا بالأمس واليوم عذبت   فياليت شعرى ما غد مايصيبها !!
وهل للعوالى رغبة فى مثوبة   تبارك معطيها وجل مثيبها
وكائن لها من مهجة مثل صخرة   تذيب الليالى والليالى تذيبها
مضت فى الكرى واستعجلت يقظة الوغى   وساحتها أم فأين ربيبها ؟
محنة لاتبتغى عند أمة   موزعة أهواؤها وقلوبها